

اقتحامات الأقصى.. كيف تحولت من سياسة عسكرية لعقيدة صهيونية؟

كتبه مها شهوان | 28 سبتمبر, 2022



بشكل شبه يومي، تكرر أخبار الاقتحامات للمسجد الأقصى من قبل جماعات المستوطنين، وتزداد ومتيرتها وقت الأعياد اليهودية، وما يشاهد عبر وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي من أسراب اليهود المتدينين يدخلون المسجد وهم يرتدون لباس الكهنة البيضاء، بينما يتصدى المراقبون المقدسيون لنعيم الدخول بالتكبير والتهليل.

هذه الاقتحامات ليست وليدة السنوات الأخيرة، بل سياسة ممنهجة منذ الاحتلال الإسرائيلي لمدينة القدس عام 1967، حيث بدأت باقتحام عبر دبابة عسكرية ومن ثم اتخذت عدة طرق حق تطورت لتأخذ شكلها الأخير، بالصلوات التلمودية والسباحة للمحامي والنفخ بالبوق والرسم على جدار حائط البراق عبارات وصور توراتية مضيئة.

وفي تسعينيات القرن الماضي بدأت جماعات صهيونية متطرفة تنظمها وتحشد مستوطنين وتدفع لهم المال للمشاركة، وذلك في سبيل تعزيز الرواية التوراتية “مقتحمون أكثر.. هيكل أقرب”， فهـيـنـ تـؤـمـنـ بـأـنـ زـيـادـةـ عـدـدـ الـيهـودـ الـمـقـتـحـمـينـ لـلـأـقـصـىـ سـتـعـجـلـ بـقـرـارـ إـسـرـائـيلـ يـسـمـحـ لـهـمـ الـصـلـةـ دـاخـلـهـ،ـ وـبـعـدـ ذـلـكـ سـيـصـبـحـ مـنـ السـهـلـ الـمـطـالـبـ بـطـرـدـ الـسـلـمـيـنـ وـتـدـمـيرـ الـمـسـجـدـ وـبـنـاءـ الـهـيـكـلـ مـكـانـهـ.

وغالباً لم تمضِ تلك الاقتحامات بشكل عادي، بل كانت الشرارة التي أشعلت الانتفاضات والمجازر، فهي بدأت من منطق ترسيخ فكرة السيطرة على الأقصى، حتى أصبحت جزءاً رئيسياً من عقيدة المشروع الصهيوني.

وفي هذا السياق، يستعرض "نون بوست" تاريخ وشكل الاقتحامات للمسجد الأقصى، وأبرز الأحداث التي وقعت حينها، وأبرز الجماعات الصهيونية التي تدعمها.

ماذا يعني الاقتحام؟

يعني الاقتحام الدخول إلى المكان بقوة، وهذا ما يفعله المستوطنون في الأقصى تحت حماية شرطة الاحتلال، حيث خلع الأبواب وتدمير المسجد ومحاولة كسر الشبابيك وتخريب الزخارف، وهو وكل شيء يوحى بالheroية البصرية الإسلامية للأقصى.

ومع مرور السنوات، بات الاقتحام يُطلق على من يحمل فكرة تغيير واقع الأقصى فيزيائياً، فتحول من اقتحام المكان بالآليات العسكرية إلى من يقتحمه بأفكار وعقلية تعزيزان الرواية اليهودية، لتغيير الوضع القائم.

وعن أوقات الاقتحام، فهي، بعيداً عن الأعياد اليهودية ومواقيتها، تكون بشكل يومي ما عدا الجمعة والسبت، وأيام الأعياد والمناسبات الدينية الإسلامية، كعيدي الفطر والأضحى أو يوم الإسراء والمعراج.

وتختلف ساعات الاقتحام بين فصلي الصيف والشتاء، في الصيف تكون عند الساعة السابعة والنصف صباحاً حتى الحادية عشرة وتعُرف بالفترة الصباحية، ومن ثم تأتي فترة ما بعد صلاة الظهر من الواحدة والنصف حتى الثانية والنصف بعد الظهر. وتبدأ شتاءً الفترة الصباحية عند السابعة لتنتهي عند العاشرة والنصف، وتبدأ فترة ما بعد الظهر من الثانية عشرة والنصف حتى الواحدة والنصف ظهراً.

لأن مدة الاقتحام اعتبرها المستوطنون قصيرة ولا تلبي مطامعهم، تم تطويرها لتجوب الأقصى بكامله وتستهدف بشكل أساسى المنطقة الشرقية منه.

وفيمَا يتعلق بأعداد المقتدين في الأيام العاديّة تكون بالعشرات، لكنها تصل إلى الآلاف في "مواسم التصعيد"، خاصة الأعياد الدينية والمناسبات الوطنية، وتشير المعطيات إلى أن العام الماضي والمتم من سبتمبر/أيلول 2021 حتى سبتمبر/أيلول 2022، شهد اقتحام أكثر من 55 ألف مستوطن للمسجد الأقصى.

أما عن مسار المقتمين، يبدأ من باب المغاربة غرباً، مروراً بمحاذاة المصلى القبلي، ثم السير باتجاه السور الشرقي للمسجد، وعند وصولهم يقف المستوطنون جنوب باب الرحمة مقابل الصخرة، فهـي وفق مزاعمهم البوابة الشرقية الرئيسية للهيكل، حيث يبدأ أحد المستوطنون بالإرشاد التاريخي والديني للمكان وفقاً للرواية الصهيونية، كما يصل المقتمون صلاة سرية عن طريق التمتمة أو الانبطاح أرضًا.

ولأن مدة الاقتحام اعتبرها المستوطنون قصيرة ولا تلبي مطامعهم، تم تطويرها لتجوب الأقصى بكامله وتستهدف بشكل أساسـي المنطقة الشرقية منه، الأمر الذي استفز مشاعـر المقدسيـين ومن بعدهـا استنفرـ المرابطـون وبـقـوا يتـصدـون لـعـرقلـة أي اـعتـداء أو اـقـتـاحـام.

وبعد الانتـيـاء من صـلـواتـهمـ، يـكـملـونـ مـسـيرـهـمـ بـمـحـاذـاـةـ السـورـ الشـمـالـيـ لـلـمـسـجـدـ، ثـمـ يـنـعـطـفـونـ جـنـوـبـاـ حـتـىـ الـوصـولـ إـلـىـ بـاـبـ الـقطـانـينـ، ليـتـمـكـنـواـ مـنـ رـؤـيـةـ مـصـلـىـ قـبـةـ الصـخـرـةـ بـوـضـوحـ، وـبـعـدـهـاـ يـغـادـرـونـ مـنـ بـاـبـ السـلـسـلـةـ، وـأـغـلـبـهـمـ يـمـشـيـ وـهـوـ يـنـظـرـ بـاتـجـاهـ قـبـةـ الصـخـرـةـ وـظـهـرـهـ لـلـبـابـ.

تاريخ الاقتحامات.. تسلسل الأحداث فترة

2022-1967

بداية، إن أبرز الاقتحامات التي تشعل فتيل الأحداث لتبلغ ذروتها تكون من قبل وزراء ونواب بالكنيست وأفراد الشرطة والمستوطنين، ومحاولتهم أداء طقوس دينية، وهو ما يؤدي إلى توتر في المسجد، فضلاً عن سلسلة قرارات تهدف إلى الهيمنة عليه وتقسيمه زمانياً ومكانياً بين المسلمين واليهود، وهذه أبرزها:

- يونيو/حزيران 1967: احتلال "إسرائيل" الجزء الشرقي من مدينة القدس عبر آليات عسكرية، ووضع العلم الإسرائيلي على قبة الصخرة، ثم تم إزالته بأمر من الحكومة التركية آنذاك.
- يونيو/حزيران 1967: أقام الحاخام الأكبر لجيش الاحتلال الإسرائيلي، شلوم غورن، صلاة دينية في ساحة المسجد الأقصى.
- أغسطس/آب 1979: حاولت جماعة "عرشون سلمون" الاستيطانية اقتحام الأقصى.
- يناير/كانون الثاني 1981: اقتحم أفراد حركة "أمناء جبل الهيكل" المسجد.
- أبريل/نيسان 1982: اقتحم الجندي الإسرائيلي هاري غودمان المسجد، وأطلق النار على المسلمين.
- يوليو/تموز 1982: اعتقال أحد نشطاء حركة "كاف" المحظورة، بتهمة التخطيط لنصف

- أغسطس/آب 1989: سمحت شرطة الاحتلال للمتطرفين بأداء الصلوات عند الأبواب الخارجية للمسجد.

- أكتوبر/تشرين الأول 1990: استشهد 21 فلسطينيًّا وأصيب المئات في مجزرة داخل المسجد الأقصى أثناء تصديهم للمستوطنين، حيث اشتعل الفتيل بسبب اقتحام جماعي من متطرفين يحاولون وضع ما يُسَمَّى حجر الأساس للهيكل، فتصدى أهل بيت القدس، ويُعرَف الحدث تاريخيًّا بـ”مجزرة المسجد الأقصى”.

- سبتمبر/أيلول 1996: لمنع التدنس اندلعت اتفاضة النفق، بعد أن أُعلن عن افتتاح الاحتلال نفق أسفل الجدار الغربي للمسجد، ما فجّر ما عُرف بـ”هبة النفق”.

- سبتمبر/أيلول 2000: اقتحم رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق، أرئيل شارون، الأقصى، ما أدى إلى اندلاع اتفاضة الثانية.

- يوليو/تموز 2017: أغلقت شرطة الاحتلال يومي 14 و15 أبواب المسجد بشكل كامل.

- أكتوبر/تشرين الأول 2021: سمحت محكمة صلح الاحتلال بما سُمِّتها ”الصلاحة الصامتة“ في الأقصى.

- مايو/أيار 2022: سمحت محكمة صلح الاحتلال للمستوطنين بأداء صلواتهم التلمودية بـ”صوت عالٍ”.

- سبتمبر/أيلول 2022: محكمة الصلح تسمح بنفخ البوق وأداء الشعائر اليهودية عند مقبرة باب الرحمة وسور الأقصى الشرقي.

ويتضاح من تسلسل الأحداث الهامة لتاريخ الاقتحامات، أن اشتعال الفتيل تطوّر بفعل الحالات الصهيونية للاقتحام بشكل جماعي عام 1990، في حين يمكن القول إن العقدَين الأخيرَين يطلق عليهما ”العشرون السوداء“، حيث بعد دخول شارون أصبح اقتحام الأقصى عملاً تسعى دولة الاحتلال لجعله أمراً واقعاً وبمسارات متعددة.

وتصاعدت الاقتحامات من عام 2000 حق عام 2020 بشكل كبير، في محاولة لفرض التقسيم الزماني للأقصى بين المسلمين واليهود، أما اللحظات الحاسمة منذ عام 2021 حتى يومنا هذا تعد الأخطر من حيث الفعاليات والأعداد، فالاقتحامات باتت تحتوي ممارسات عقائدية توحِّي بعزم الاحتلال الانتقال بشكل جدي إلى مرحلة ”الهيكل“ المزعوم.

من ينظم اقتحامات المستوطنين للأقصى؟

بعدما كانت عمليات الاقتحام فردية ثم تحولت لدخول منظم، خاصة وقت المناسبات الوطنية الإسرائيلية والدينية اليهودية، وتزايدت أعداد المقتدين، إلا أنهم لا يشكلون سوى 5% من المجتمع الإسرائيلي، خاصة أن من تبقى لا يؤمنون بفكرة دخول الأقصى لعدم وجود فتوى توراتية تبيح لهم ذلك.

وهناك جماعات دينية متطرفة تعمل على جلب المستوطنين وتحثّم على اقتحام الأقصى، مستغلة النواحي الدينية الأيديولوجية لتحقيق مكاسب سياسية لفرض سيطرتها على حكومتها.

وبعد عام 1996، حين كانت السياسات الإسرائيلية تتحفظ من قيام المجموعات اليهودية المتطرفة مثل "أمناء جبل الهيكل" بزيارات جماعية واستفزازية ومدنسة للمسجد الأقصى، أصبح أفراد الشرطة الإسرائيلية مرافقين ومنظمين ومدافعين عن هذه الزيارات، التي هدفت إلى تثبيت وجود يهودي دائم في المسجد الأقصى.

ولتسهيل وتشجيع الزيارات، أزالت سلطات الاحتلال الإسرائيلي اللافتات التي وضعها بعد عام 1967، والتي تمنع اليهود من دخول المسجد الأقصى أو الصلاة فيه.

وتشن حملة ممنهجة من قبل المؤسسة الإسرائيلية الرسمية، الداعومة بقطعان المستوطنين الذين ينتهي بعضهم إلى ما يُسمى بالتيار الديني الوطني، على المسجد الأقصى، بهدف خلق واقع جديد يتمثل بتقاسم المسجد مع المسلمين.

ومن أبرز وأخطر الجماعات الداعمة للاقتحام بشكل مستمر: أمناء جبل الهيكل، ونساء من أجل الهيكل، وحراس الهيكل، وعصبة الدفاع اليهودية "كاف" والحركة من أجل بناء الهيكل.

وما رفع وتيرة الاقتحامات أيضًا هو عمليات التطبيع العربي التي جرت في السنوات الأخيرة، وبقاء المقدسي وحيدًا يدافع عن الأقصى، لذا بات الحمل عليه أكبر حيث اليقظة عبر الرباط الدائم، لإفشال الاعتداءات الإسرائيلية القادمة وأي مخططات من شأنها تغيير ملامح الهوية الإسلامية والعربية للمسجد.

رابط المقال : <https://www.noonpost.com/45331>